"منذ متى لم تقرأ كتاباً؟"

سؤال واحد و إجابات متعددة ...

عبد الباسط خلف

يصبح من الترف أحياناً توجيه طائفة من الأسئلة في التوقيت الخاطئ، وتتعقد المهمة حينما يعرف السائل الإجابة. في جنين، يمكن للمرء أن يستشف إجابة عشرات الأسئلة، قبل أن يوجهها، فالأسئلة مثلاً لتاجر ما عن حركة السوق، قد تصنف في باب العبث، لأن الصورة تتحدث، والاستفسار عن جودة البيئة أو الأمن ومشتقاته يبدو جلياً قبل طرحه. مع هذا وذاك، كان للبيدر هذه الجولة في المدينة و ما جاورها.

مصطفى: لم أقرأ كتباً منذ سنوات!

في أحشاء حانوت مصطفى ذياب، في قلب المدينة، تتصارع عشرات الأصناف على احتلال حيز لها، علها تنزع قليلاً حمى الركود التجاري.

ينشط مصطفى في التجارة، وتصادقه ابتسامه للزبائن وسواهم، وحتى لو كانوا من الصحافيين غير القادمين لشراء منتوج ما. يقول: لا أذكر أنني قرأت كتاباً منذ سنوات، فانشغالاتي كثيرة ومتشعبة، والمهمة الثقافية الوحيدة التي أقوم بها، تدريس أولادي في بعض الأحيان.

بركات: قبل عام قرأت آخر كتاب...

ليس بعيداً عن المكان، نتصادف وشاب آخر، يسعى لشأنه وسط زحمة السوق الخادعة. نسأله بركات حمدان، العامل عن آخر النسخ من خير الجلساء، ومتى صادقها، فيقول: قبل عام تقريباً، قرأت كتاباً يتطرق لعلاقة الإنسان بالبيئة، لكن الصدفة شاءت أن يكون هذا الشاب قد ابتاع قبل أربعة أيام كتاباً يتطرق إلى الأحاجي والألغاز. يقول "أفتش أولاً عن شيء يسد رمقي، ويصّرف عليّ ما تبقى لي من ساعات دراسية في جامعة القدس المفتوحة"، لكنه مع هذا يتمنى لو تتحسن الأوضاع الاقتصادية، ليكون بالإمكان التفكير في إنعاش الحالة الثقافية.

تصوير ناصر عيد

علي: أصنع بنفسي ما أقرأ..

تختلف الصورة لدى المهندس علي إبراهيم الذي يواكب آخر مستجدات الهندسة، من خلال نسخ العديد من المراجع العلمية غير المتوفرة في المكتبات، من مواقع في الشبكة الدولية للمعلومات. يقول: بوسعي طباعة ما أريد، وتجميعه في كتاب، وتجليده وتحويله كمرجع. وهذا وفر علي المال والجهد".

عبير: الفضائيات أفسدت المطالعة...

ترى عبير أبو حماد الموظفة في إحدى المؤسسات الرسمية، أن سبب تراجع القراءة سببه الفضائيات، التي أبعدت الناس عن المكتبة، فانشغلوا كثيراً بمتابعة جديد الأفلام والمسلسلات و "الروتانيات" والفيديو كليب.

وتضيف "للناس اليوم ما يشغلهم، من شؤون البحث عن لقمة العيش، وتوفير "فاتورة" الحياة الباهظة". ورغم كونها حاصلة على ليسانس في الأدب العربي، إلا أن آخر كتاب قرأته كان عن الشاعرة الراحلة فدوى طوقان وحمل العنوان "رحلة جبلية، رحلة صعبة"، إضافة لكتاب آخر لطوقان نفسها اسمه "الرحلة الأصعب".

تضيف "صار الناس يستسهلون الحصول على المعلومة فلم يعد لديهم الاستعداد للتخلي عن الوسائل السهلة التي توفر المعرفة، ويذهبون لشراء كتب باهظة الثمن وتحتاج لجهد في القراءة".

علياء: لا أقرأ غير الأبراج!

تقول علياء الطالبة الجامعية "لا أقرأ سوى ما يطلب مني وأهوى قراءة الأبراج التي أؤمن بتوقعاتها الفلكية".

وتعتقد أن الأزمة في الجامعات الفلسطينية تكمن في إهمال الطلبة لإثراء معارفهم عبر المطالعة الخارجية. لم تسمع علياء بمعرض فلسطين الدولي السادس للكتاب الذي نظمته وزارة الثقافة في رام الله مطلع آذار الفائت، وبالتأكيد لن تسمع عن عام التهادي بالكتاب....

مدرس متقاعد: كرهت الكتب!

يبدي أحد المدرسين المتقاعدين، والذي آثر أن يظل أسمه طي الكتمان تشاؤماً كبيراً حيال الكتاب أو خير الجلساء، ويقول "منذ أن أنهيت خدمتي أصبحت لا أطيق تصفح الكتب وأفضل أن أقضي نهاري في أعمال لا صلة لها بالقراءة، كالسمر مع الأصدقاء والأحاديث وبعض الأعمال في الحديقة المنزلية. ويضيف "أعرف مدرسين زملاء لا يقرأون أي كتاب خارجي، ويكتفون بقراءة المناهج التي يدرسونها لتلامذتهم".

سعاد : تخصص في قراءات المطبخ!

تكتفي سعاد عادل، وهي ربه بيت بالقول "لا أقرأ سوى كتب الطبخ وأهتم بها كثيراً"، لكنها تعود للتأكيد على أن زوجها يشجعها على تثقيف نفسها فيتابعان معاً برامج ثقافية تلفزيونية، ويسعى أيضاً لإقناعها بالخروج عن تخصصها.

تتذكر قطارات "المترو" أو "الصب وي" في الولايات المتحدة، حيث كنا نشاهد السواد الأعظم من المسافرين، يمسك بصحيفة أو مجلة، ولا تغادر عيونهم صفحاتها. ولن تنسيك الأيام، جارتك الطارئة في القطار الذي أنفقنا فيه سبع ساعات الشتاء الماضي، ولن تفارق عيونها ما في جعبتها من أوراق ثقافية وجرائد، ولم يفلح النعاس الذي أصابنا من النيل من إرادتها...

أي ثقافة نريد لشبابنا ؟؟

غسان أبو حطب

قبل الغوص في ثنايا هذا العنوان أود الذهاب إلى تعريف الثقافة ، فالثقافة كما عرفها المفكر البريطاني ادوارد تيلور " هي ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعارف و المعتقدات و الفنون و الآداب و الأعراف و القوانين و غير ذلك من منجزات الإنسان كفرد أو مجتمع " وعرفت منظمة اليونسكو في العام ١٩٨٥ الثقافة بأنها "جميع معارف الإنسان المتعلقة بالطبيعة و المجتمع ". يتضح مما تقدم بأن الثقافة في أنبل أشكالها دفاع عن القيم الإنسانية النبيلة، لذا فإننا نريد لشبابنا ثقافة تعزز مجموعة من القيم على رأسها قيم المساواة و الإنصاف، تقبل الرأي الأخر، المشاركة، التسامح، بمعنى آخر نريد ثقافة مدنية، هذه الثقافة لا يمكن صياغتها في قوانين لكنها تتراكم و تترسخ تدريجيا من خلال القدوة من جانب النخبة المثقفة والممارسة من جانب المواطنين، و يجب تنميتها في كل المؤسسات كالمدرسة، الأسرة، المسجد و الكنيسة.

الثقافة المدنية هي روح الديمقراطية و هي تتنافى مع الثقافة التقليدية، ولا بد للمتفحص في شأن الثقافة الفلسطينية أن يلمس بوضوح وجود تباينات ثقافية بين شرائح قطاع الشباب قائمة على أساس الجغرافيا و الاختلافات الاجتماعية، الشرائحية، النوع اجتماعية، مما دعا البعض إلى الحديث عن ثقافات فرعية داخل المبنى الثقافي العام الذي يشكل قاسم مشتركا لمجموع الثقافات الفرعية داخل قطاع الشباب ، كما أن المتأمل يرى بوضوح أن هذه الثقافات الفرعية تحمل في طياتها الكثير من المتضمنات المناقضة بشكل صارخ لروح الثقافة المدنية المنشودة ، حيث أننا نعاني كثيرا من المزج بين الثقافة المدنية و الثقافة التقليدية على ما بينهما من تناقض ، فالشكل الديمقراطي هو تعبير عن الثقافة المدنية ، لكن جوهر الممارسة هو تعبير عن الثقافة التقليدية ، و من هنا يمكننا القول أن هناك دوران للثقافة الفلسطينية ، احدهما ايجابي يتمثل في كون الثقافة المدنية تشكل أداة ترابط داخل المجتمع ، و الآخر سلبي يتمثل بإعاقة التطور و التحديث ، و مما لا شك فيه أن الحديث عن الثقافة و التي تتمثل في التسامح الذي يقود بدوره إلى التعددية و الأخيرة تتيح مناخات أرحب للمشاركة السياسية الفاعلية التي تؤمن درجة عالية من ممارسة الاقتدار السياسي و درجة عالية من الثقة السياسية هذا إذا أخذنا بالاعتبار أن احد أهم أبعاد هذه الثقافة هو الثقافة السياسية ، هذه بمجملها باتت تشكل اليوم ابرز ملامح الثقافة المدنية التي نريد ، كذلك لا يمكن لنا أن نغفل تعرض شبابنا و تأثرهم بالثقافة التقليدية سالفة الذكر ، و كذلك ثقافة الاستهلاك التي ما فتئت تغرق ساحتنا الوطنية الفلسطينية بالعديد من أنماط السلوك الهابطة التي تختزل الوطن و الشعب في الفرد ، هذه الثقافة الاستهلاكية المعززة بثقافة كونية عولمية ، ولا شك أننا كشباب الأكثر عرضة لمؤثرات هذه الثقافة الكونية ، حيث أن درجة انكشافنا عالية جدا للمؤثرات الخارجية (ممارسات احتلالية ؟ ممولين ؟ أنظمة عربية) ، و احد أهم مظاهر هذه الحالة الانكشافية يتمثل في جانبه الثقافي بالانتشار الكاسح للفنون السمعية ؟ البصرية ؟ الأجنبية و الاختفاء الملموس للثقافات الوطنية المحلية ، غير أن طغيان الإنتاج الثقافي و الفني العولمي على هذا النحو تقابله بحكم الجدلية الاجتماعية ظاهرتان :-

الأولى : خروج منتجات اجتماعية و ثقافية من الحيز الضيق لبعض المجتمعات إلى النطاق العالمي من حيث الانتشار و خصوصا في حالة الأطعمة و الاشربة و الأزياء .

الثانية : عملية أحياء واعي لبعض أوعية الفن الشعبي (فنون المغرب العربي).

هاتان الظاهرتان إذا تم توظيفهما على نحو فاعل بالامكان أن يشكلا ميكانيزمات ملائمة للدفاع عن الهوية الوطنية ولا سيما ذات الطبيعة الكفاحية ، كهويتنا الفلسطينية ، لذا على شبابنا و مؤسساتهم التعبيرية أن يتمسكوا بهويتهم الوطنية المقاومة و أن يعكسوا ملامح و قسمات هذه الهوية و هذه الثقافة المدنية المقاومة في التشريعات و السياسات التي تحكم عملهم أفرادا و جماعات ، هيئات و مؤسسات كي نتمكن من بلورة هوية و ثقافة مدنية حضارية راقية تليق بمستوى التضحيات التي بذلت و مازالت على مذبح الحرية.

"فلسطين سبقت العديد من الدول العربية في الإنتاج السينمائي"

السينما الفلسطينية والابداع الثقافي

لقطة من مسلسل "يانون"

نظير فالح وميرفت عوف

لم يكن تأليف وإخراج وإنتاج أفلام سينمائية فلسطينية في ظل الاحتلال الإسرائيلي بالأمر الهين الذي يتجاوز معيقات تقليدية تعترض الانتاج السينمائي أينما كان، وهذا ما يؤكده عاطف عيسى، المخرج والمنتج الفلسطيني، الذي قال " أن أي عمل درامي أو سينمائي يحتاج لتخطيط شامل وبالتحديد التخطيط للأمور الفنية و المالية ولكن في ظل الظروف المالية الصعبة التي تمر بكافة النواحي في فلسطين وعدم وجود منتج أو موزع أو جهات رسمية أو غير رسمية تتكفل بهذا الجانب المهم فأن المسئولية تقع على كاهل كل شخص يريد أن يسجل عمل درامي أو سينمائي سواء كان مخرج أو كاتب أو ممثل أو مواطن عادي " ، ويؤكد عيسي من خلاله خبرته العريقة أن تلك الظروف قد تدفع المهتم السينمائي لتكثيف العمل الفني وتقصير مدته أو لتحويل المسلسل إلى تمثيلية لكنها لن تدفعه إلى وقف تنفيذ أفكاره " .

ويضيف المخرج والكاتب الفلسطيني سويلم العبسي " أنه رغم الظروف التي نعيشها ورغم الوضع الإنتاجي المتأزم إلا أننا ناضلنا ونناضل من أجل إنتاج المسلسلات والأفلام التي سجلت وقائع انتفاضية فشلت الكاميرات الإخبارية في تسجيلها ، وقال العبسي " نستنفذ مما لدينا من تقنيات انتاجية و مبالغ مالية محددة لننتج ولننتج فهي تبقي مشاركة وطنية تستوجب الخوض في هموم الوطن وتعزيز انتمائنا إلي الوطن المحتل"، ويوضح العبسي أنه نتيجة التجربة والخبرة الطويلة من الأبحاث في الخارج التي نالها وغيره من المنتجين والمخرجين الفلسطينيين فقد عرف كيف يتحايل على الظروف الصعبة التي قد تحيل بينه وبين الخروج بفكرته حيز التنفيذ .

ويتطرق عبد السلام شحادة مخرج ومنتج فلسطيني إلى افتقار الساحة الفلسطينية للأدوات التقنية والمهنية ويقول " هذا لن يحول دون استخدامنا لكاميرا واحدة في العمل الواحد الذي يعتمد في الغالب على جهود فردية محلية حيث أن الاستعانة بخبراء أجانب ومعامل تحميض أجنبية مكلف للغاية، شحادة كان من أبرز أعماله السينمائية فيلم الايدي الصغيرة الذي أخرجه سنة ١٩٩٥.

أستوديوهات واقعية!

أغلب لقطات الكاميرا الدرامية والسينمائية الفلسطينية لا تأتي من داخل استوديوهات تصوير داخلية، بل تأتي من بيوت المواطنين الفلسطينيين، حاراتهم وأزقتهم. يقول المخرج سويلم العبسي " أن كرم العائلات الفلسطينية التي تستضيف طواقم العمل الدرامي والسينمائي كبير حيث يساهم المواطنين بكل ما يتاح لهم وينفذون متطلبات العمل دون أي اعتراض بل يجندون وقتهم وجهدهم لمساعدة الطاقم ولا يتوانون عن تقديم وجبات الطعام للجميع وإخضاع كافة ممتلكاتهم لخدمة العمل ، بينما يشير عيسي إلى أن الوازع الوطني وحب فلسطين يدفع الناس هنا لأن تعطي كل ما لديها من أجل إنتاج العمل الدرامي ، ويقول " عندما احتجنا في أحد الأعمال الدرامية لملابس للممثلين قوات الاحتلال صنعت مصانع الخياطة في غزة كل ما نحتاجه على نفقة أصحابها " ، ويوضح شحادة " أن المواطنين يتكفلون في الغالب بحاجات الطاقم الفني من مأكل ومشرب سواء كان بسطاء يصنعون الطعام في بيوتهم أو بحال يسمح لهم بجلب الطعام من مطاعم كما أنه كانوا يوفرون سيارتهم لتنقل الممثلين وفريق العمل دون أي مقابل.

معيقات تواجه السينما الفلسطينية

جورج إبراهيم، مدير مسرح وسينماتك القصبة، يشير الى أن "فلسطين سبقت العديد من الدول العربية في مجال الإنتاج السينمائي باستثناء مصر وشمال افريقيا ولبنان" وان العديد من الأعمال الفلسطينية أصبحت تنافس الأعمال العالمية وترشحت بعضها لجوائز الاوسكار.

لكنه في الوقت ذاته يرى بوجود معيقات تعترض الانتاج السينمائي، الدرامي والمسرحي الفلسطيني، حيث يشير جورج إبراهيم الى أن أبرز المشاكل التي تواجه السينما الفلسطينية تتمثل في عدم وجود معاهد للدراما من أجل خلق جيل جديد من المبدعين فالكوادر الفنية قليلة،والمسارح من أجل إقامة العروض الفنية محدودة في مدننا وهذا سبب تركز معظم العروض الفنية في مدينتي رام الله والقدس لتوفرها هناك، ولكي يتمكن الناس من الوصول إليها.

إضافة إلى عدم وجود استراتيجية وصندوق تنمية لرفد الحركة الفنية بالطاقات المؤهلة و عدم وجود مساقات فنية تدرس للطلبة في المدارس والجامعات ووجود خلل في التوجه العام لأهمية المسرح كأداة تثقيفية.